الجمعيات العلمية والسياسية في بلاد الشام 1850– 1908 دراسة تاريخية

م.م. وداد عبد الزهرة كاطع
كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

الكلمات المفتاحية: التاريخ الحديث. الجمعيات العلمية. العثمانيين

الملخص:

ان سيطرة الدولة العثمانية على العديد من بلدان الوطن العربي وطبيعة علاقة الدولة العثمانية مع بعض الدول الاوربية ساعد على انفتاح البلدان العربية على العالم الخارجي والاتصال به، وذلك من خلال طبيعة الشخص العربي المثقف، لأن العرب كانوا يحبون الاطلاع والتعلم وهذا ما دفعهم الى الهجرة الى تلك البلدان من اجل نقل علومهم الى بلدانهم العربية، هذا الشيء ولد لديهم فكرة انشاء الجمعيات والنوادي الادبية والثقافية والعلمية والتي تحولت فيما بعد الى سياسية وكانت تقف ضد الحكومة والدولة العثمانية.

المقدمة:

ان سيطرة الدولة العثمانية على العديد من بلدان الوطن العربي وطبيعة علاقة الدولة العثمانية مع بعض الدول الاوربية ساعد على انفتاح البلدان العربية على العالم الخارجي والاتصال به، وذلك من خلال طبيعة الشخص العربي المثقف، لأن العرب كانوا يحبون الاطلاع والتعلم وهذا ما دفعهم الى الهجرة الى تلك البلدان من اجل نقل علومهم الى بلدانهم العربية، هذا الشيء ولد لديهم فكرة انشاء الجمعيات والنوادي الادبية والثقافية والعلمية والتي تحولت فيما بعد الى سياسية وكانت تقف ضد الحكومة والدولة العثمانية.

من هنا وقع اختيار موضوع (الجمعيات العلمية والسياسية في بلاد الشام 1850- 1908 دراسة تاريخية)، لما لهذه الجمعيات من تأثير على الواقع العلمي والسياسي في بلدان الوطن العربي بشكل عام وبلاد الشام بشكل خاص، والتي كانت لها بصمة واضحة في تغيير شكل ونظام الحكم في بلاد الشام وساهمت بشكل او بأخر على انهاء الوجود العثماني في المنطقة.

قسم البحث الى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناول المبحث الاول (الجمعيات العلمية) وتطرقت فيه الى عدد من الجمعيات منها الجمعية السورية جمعية المقاصد الخيرية، حلقة

دمشق الكبرى، وحلقة دمشق الصغرى، في حين ناقش المبحث الثاني (الجمعيات السياسية) والذي تناولت فيه جمعية الشورى العثمانية وجمعية النهضة العربية الفتاة، أما الخاتمة فقد تناولت أهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث.

أعتمد البحث على العديد من المصادر التي أغنته بالمعلومات القيمة على الرغم من قلة عدد المصادر التي تتناول الجانب العلمي والثقافي لتلك البلدان الا ان هناك بعض المصادر التي تناولت هذا الجانب، ومن اهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث هي المذكرات الشخصية ومنها مذكرات مدحت باشا الوالي العثماني التي ترجمت من قبل يوسف كمال حتاته وطبعت في مصر، أضافةٍ الى عدد من الصحف العربية، وكذلك المصادر العربية التي من اهمها على سبيل المثال لا الحصر كتاب مصطفى الشهابي الذي كان تحت عنوان (محاضرات في القومية العربية) وغيره من المصادر الاخرى.

تمهيد:

كان ظهور الجمعيات على شكل صيغ تنظيمية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وجاء هذا نتيجة حركة تطور طويلة المدى خلال القرن التاسع عشر بأكمله، أذ يمكن وصف هذا القرن بأنه قرن التفتح على العالم الخارجي بالنسبة للعرب، أذ كان هذا التفتح نتيجة تفاعل العديد من الحقبات التاريخية التي تمثلت ب(حركة الرأسمالية الأوربية الصاعدة، حركة اليقظة العربية، وأضافةٍ الى حركة أصلاح الدولة العثمانية وسيطرتها على البلاد العربية)، ونتيجة لتفاعل هذه الحركات بدأت تظهر بوادر الوعي وحركات الأصلاح والتغيير في الوطن العربي، أذ أنتشرت المدارس والمطابع والصحف وهذا بدوره أثر على واقع التعليم، أذ ظهر الأزهر، كما بدأت بوادر البعثات العلمية من خلال ارسال العديد من الطلبة للدراسة في بلدان أوربا، وبعد تخرج هؤلاء الطلبة نقلوا الافكار التحررية الى بلدانهم بعد عودتهم اليها وأفتتحوا ما عرف ب(مدارس الأرساليات التبشيرية) وهذا كله ساهم في انتشار الثقافة والافكار التحررية من بلدان أوربا الى الأمبراطورية العثمانية، وهذا أدى الى ظهور تيارات علمية وسياسية جديدة، ظهروا في ارجاء الامبراطورية العثمانية بصورة عامة وفي بلدان الوطن العربي بصورة خاصة ([1]).

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر ظهور صيغ تنظيمية، كانت في بادئ الأمر جمعيات علمية أو ثقافية ثم تطورت الى جمعيات علمية ذات مضمون سياسي ثم تطورت بعد ذلك الى ما يعرف بالجمعيات السياسية ([2]).

المبحث الاول: الجمعيات العلمية:

وهي جمعيات أنشأها بعض الشخصيات والمؤسسات المحلية والاجنبية، وبدأت تظهر في سوريا الى جانب الجمعيات الادبية والخيرية ومن اهم هذه الجمعيات هي: ([3]).

1- الجمعية السورية: وهي جمعية علمية، أسسها بطرس البستاني والامريكي فان ديك، أنشأت أواخر عام 1847 في بيروت، بقيت هذه الجمعية تعمل بنشاط حتى عام 1851، وانشأ فيها مكتبة كبيرة كانت هذه المكتبة قبلة طلاب العلم، واحتوت على العديد من الكتب الحديثة والكتب النادرة، وقام بطرس البستاني بطبع قوانين واعمال الجمعية عام 1852، وازداد عدد اعضائها حتى وصل الى (50) عضواً، لكن هذه الجمعية انتهت بعد عام 1852، بسبب انضمام اعضائها الى جمعيات اخرى كانت قد تأسست تلك الفترة ([4]).

2- جمعية المقاصد الخيرية: وهي من الجمعيات الخيرية التي اسسها مدحت باشا والي سورية في دمشق، بعد ان حول اموال الاوقاف الى الجانب العلمي، وفتح لها عدة فروع في عدد من المدن والمحافظات السورية، وبعد ان صدرت الارادة السنية بتحويل جمعية المقاصد الخيرية الى مجلس المعارف وذلك عام 1882 ([5]).

3- الجمعية السورية: وهي جمعية اسسها عدد من الطلاب في الجامعة الامريكية في بيروت عام 1875، وكان معظم اعضائها من الطلبة المسيحيين، وكانت هذه الجمعية اول جمعية امتزج فيها الطابع العلمي مع الطابع السياسي، نتيجة لوعي الطلبة وثقافتهم، اذ كانت هذه الجمعية في الظاهر ذات طابع علمي لكن باطنها كان سياسي، وكان اعضاء هذه الجمعية يقاومون الوجود العثماني والنعرة الدينية والطائفية، وكان من اهداف الجمعية الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية، منح الاستقلال لسورية ولبنان، استخدام وحدات الجند المحلية في الخدمة العسكرية والحد من انتشار الجنود العسكريين العثمانيين داخل سورية ولبنان، الغاء الرقابة التي تحول دون حرية الرأي والتعبير، وقام اعضاء الجمعية بنشر المناشير واللافتات في دمشق وبيروت تحدث فيها الدولة العثمانية بل ذهبت الى ابعد من ذلك بأنهم اتهموا الدولة العثمانية بأنها المسؤولة عن طمس هوية اللغة العربية، وهذا بدوره الى ان تقوم الدولة العثمانية بأتهام مدحت باشا بأنه كان على علم بنشاط الجمعية وسكت عنها، مما ادى الى ابعاده عن ولاية سورية، ولم تكتف الجمعية بذلك بل واصلت نشاطها بنشر اللافتات والمناشير، وتسلم الوالي عبد الحميد باشا ولاية سورية

بعد تنحية مدحت باشا، وعمل عبد الحميد بدوره على انهاء نشاط هذه الجمعية وفك العمل بها مما ادى الى هجرة معظم اعضائها الى مصر ([6]).

4- حلقة دمشق الكبرى: هي حلقة علمية سياسية، تأسست في دمشق كان مؤسسها هو الشيخ طاهر الجزائري في عهد ولاية مدحت باشا على سورية، عندما كان يشغل منصب مفتش المعارف، وقد عمل على اصلاح نظم التعليم في سورية، استطاع الشيخ طاهر الجزائري من جمع رجال العلم والمعرفة في دمشق حوله داعياً الى العناية والاهتمام بتاريخ العرب والتراث العلمي العربي، اضافةٍ الى تعليم العلوم الصرفة الحديثة، انضم الى هذه الحلقة العديد من مصلحي دمشق منهم، عبد الحميد الزهراوي، رفيق العظم، فارس الخوري، الشيخ سليم البخاري، الشيخ عبد الرزاق البيطار، وعبد الرحمن الشهبندر وغيرهم الكثير([7]).

بدأ اعضاء الحلقة يناقشون في جلساتهم مفاهيم الحرية والعدل وطبيعة النظام، اضافة الى الاوضاع الادارية والسياسية القائمة في الامبراطورية العثمانية واستبداد الحكام العثمانيين، مما ادى الى اتهام الشيخ طاهر الجزائري بالخيانة والعمل على فصل سورية عن غيرها من البلدان العربية تحت السيطرة العثمانية، فعملت الامبراطورية العثمانية على عزله من منصبه وعرقلت اعمال الجمعية الاخرى، وبعد عدة سنوات عين الشيخ طاهر الجزائري مفتشاً لدولار الكتب في سورية مما ادى الى التفاف محبي العلم حوله من جديد، وهذا لم يلاقي استحساناً من قبل الوالي العثماني عبد الحميد باشا مما ادى به الى عزل حسن رفيق باشا (والي سورية)، لأتهمامه بأنه كان غافل عما يجري في الولاية، واتى بعده عبد الله باشا الشركسي الذي كان اول عمل له هو اضطهاد احرار العرب وتفتيش منازلهم بما فيهم اعضاء الحلقة، واتهمت الامبراطورية العثمانية الشيخ طاهر الجزائري بالاشتراك في تشجيع وتوزيع المنشورات المناوئة للحكم العثماني في سورية، فأقتحموا منزله وعندها رحل الى مصر ([8]).

5- حلقة دمشق الصغرى: هي امتداد لحلقة دمشق الكبرى وربما تكون مكملة لها، اسسها محب الدين الخطيب بين بعض طلاب الفصول النهائية في المدرسة الثانوية المعروفة ب(مكتب عنبر) في دمشق، وكان هؤلاء الطلبة يترددون على الشيخ طاهر الجزائري، وقيل مؤسس هذه الحلقة كان يلزم ويحضر اجتماعات الحلقتين، وعندما حلت الدولة العثمانية حلقة دمشق الكبرى اتفق هؤلاء الطلبة على العمل في حلقتهم السياسية السرية عام 1903 واطلق عليها هذا الاسم اسوةٍ بحلقة دمشق الكبرى، ومن اعضاء هذه الحلقة

صلاح قنباز، صلاح الدين القاسمي، وعارف الشهابي، وهم طلبة من داخل المدرسة، اما الاعضاء من خارج المدرسة فهم، لطفي الحفار، رشدي الحكيم، عثمان مردم، وسيف الدين الخطيب ([9]).

كان الهدف الاساسي لتأسيس حلقة دمشق الصغرى هو تعريف الشباب العرب المثقف بعروبتهم ودعوتهم الى التعاون في اصلاح المجتمع العثماني الذي كان صلاحه يتوقف عليه صلاح المجتمع العربي من جبال طوروس الى باب المندب، وان تركيز الحلقة على الجانب التعليمي بالدرجة الاساس واللغة العربية هو نابع من كون مؤسسي الحلقة هم طلبة في الدرجة الاولى وكانوا يمتعضون من طريقة التدريس في المدرسة، اذ يشير محب الدين الخطيب الى انهم كانوا يتعلمون العلوم جميعاً باللغة التركية حتى كتب النحو والصرف التي تخص اللغة العربية كانوا يتعلمونها باللغة التركية، وكان الكتاب يدعى ب(المشذب) الذي يفرض على كل المدارس في الولايات العربية، وكان المعلم تركياً لا يتكلم اللغة العربية، فأسس هؤلاء الطلبة غرفاً للمطالعة وساهموا في انشاء المدارس الاهلية وكان التعليم بها بالمجان، وتوسع نطاق هذه الحركة ووصل الى بيروت، بسبب سفر بعض اعضاء الحلقة من الطلبة لغرض الدراسة هناك فتم الاتصال بينهم وبين الكلية الامريكية في بيروت، وكلية الشيخ عباس الازهري وبالتالي ازداد عدد الاعضاء الذين انضموا الى هذه الحلقة ومن الذين انضموا هم الامير عادل ارسلان، محمد المحمصاني، وعبد الغني العريسي وغيرهم([10]).

تحولت حلقة دمشق الصغرى فيما بعد الى جمعية سياسية عرفت ب(جمعية النهضة العربية)، بسبب سفر اعضاء الحلقة الى استنابول للدراسة هناك ومنهم عارف الشهابي ومحب الدين الخطيب([11]).

المبحث الثاني: الجمعيات السياسية:

أثرت الجمعيات العلمية والجمعيات العلمية الممزوجة بالطابع السياسي تأثيراً فعالاً في نشوء الجمعيات السياسية، اذ اثرت في تكوين الوعي العلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، من خلال القضايا التي كانت تتطرحها للمناقشة وما يترتب على هذا النقاش من تفاعل ساهم في انتشار الوعي بصورة عامة بين المجتمعات العربية، اما الجمعيات الخيرية فقد ساهمت هي الاخرى في تكوين ما عرف ب(المسؤولية الاجتماعية) تجاه المواطن اذ ساعدت هذه الجمعيات في غرس المسؤولية داخل المواطن تجاه وطنه مما خلق المسؤولية

السياسية، وان هذه المسؤولية ادت الى تطلع المواطنين لتأسيس الجمعيات السياسية، ومن اهم الجمعيات ذات الطابع السياسي التي انشأت هي: ([12]).

1- جمعية الشورى العثمانية: هي اول التنظيمات السياسية التي ظهرت في الدولة العثمانية واوائل التنظيمات السياسية التي اسسها السوريون الذين سافروا الى استنابول لتلقي التعليم العالي، تأسست في مطلع القرن العشرين في مدينة القاهرة، وكانت الجمعية برئاسة الشيخ رشيد رضا ([13]).

ضمت الجمعية بالاضافة الى الاعضاء العرب عدداً من ابناء القوميات العثمانية الاخرى المقيمين في مصر، وبذلك فأن الجمعية تأسست من المسلمين بصورة عامة (العرب والعثمانيين) ([14]).

تأسس فروع عدة لهذه الجمعية وفي مختلف الاقطار العربية، وكانت منشورات الجمعية تطبع باللغتين العربية والتركية وترسل الى جميع فروع الجمعية في مختلف البلدان، بل كانت تتعدى ذلك فأنها تصل حتى الى البلدان الاجنبية والى مختلف اصقاع الارض ([15]).

كانت الهيئة الادارية للجمعية تتألف من الشيخ رشيد رضا رئيس مجلس الادارة، حقي العظم السكرتير العربي، رفيق العظم امين الصندوق، الضابط صائب بك مندوب جمعية الاتحاد والترقي بمصر، عبد الله جودت بك وهو احد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي ([16]).

اصدرت الجمعية جريدة تحمل أسمها (الشورى العثمانية) في شهر شباط عام 1907، وكان رفيق العظم يحرر القسم العربي منها، وحقي العظم يحرر القسم التركي منها، لأن الجريدة كانت تصدر باللغتين العربية والتركية، كما كانت الجريدة تنشر بعض المقالات باللغة الفرنسية ([17]).

اصبحت جمعية الشورى العثمانية جمعية ناشطة قائمة لها فروع في مناطق مختلفة من البلدان العربية، وأنها تأسست بعد وفاة الشيخ محمد عبده وبعد تأسيس جمعية تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقي، الا انها اصبحت في مدة قصيرة جداً (1904- 1907) جمعية قائمة وكبيرة ذاع صيتها ليس في مصر وحسب بل في كل ارجاء الامبراطورية العثمانية، ويمكن القول ان تأسيس الجمعية جاء نتيجة لسببين هما:- ([18]).

أ- قصور حزب الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة عن تمثيل ارادة جميع الشعوب التي تتكون منها الدولة العثمانية، اذ اقتصرت اعمال هاتين الجمعيتين على الشعوب المسلمة

في بلدان الدولة العثمانية دون الالتفات الى الطوائف الاخرى (الارمن والروم والمسيح) ولم ينظروا الى ما تفاقم او استفحل بهم من ظلم واستبداد الدولة العثمانية.

ب- اوضاع الدولة العثمانية التي تتسم بسوء الحال وخطر المال، فلم يكن يجدي مقاومة هذه الاوضاع الا بالعمل المنظم الذي يستهدف سوء الحال وتلافي خطر المال بمكافحة الاستبداد والظلم المتمثلين في نظام تلك الدولة ليحل محلها نظام قائم على الشورى والعدل، وهذه هي الطريقة الامثل لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد، وكان هذا اهم عامل من عوامل نشوء الجمعيات السياسية ([19]).

ت- أما مبادئ الجمعية واهدافها فكانت مدونة في وثيقتين هما، الوثيقة الاولى هي نص القانون الاساسي للجمعية الذي يتألف من ست عشرة مادة في خمسة فصول، حدد الفصل الاول منها مبادئ الجمعية واهدافها وهويتها، اما الفصول فوضحت ادارتها الداخلية، وان القانون الاساسي يوضح الهدف الاساسي لجمعية الشورى العثمانية وهو التوسل لأقامة قاعدة شورى علة وجهها القطعي في دولة آل عثمان واضافت ان مطلب الشورى هو مطلب نادى به المصلحون كعلاج لمقاومة الاستبداد، ونشر العدل والنهوض بالامبراطورية العثمانية وفق ما يقتضيه العصر، أما الوثيقة الثانية فتتمثل بنص اللائحة الاساسية التي اعلنها رشيد رضا، ودعا العثمانيين على اساسها الى الاسراع بالانضمام الى عضوية الجمعية، وتقع هذه اللائحة بعشر مواد، وكان القصد من انشاء الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستوريو شورية وان الجمعية ستبذل قصارى جهدها من اجل الوصول الى هدفها بكل الوسائل الممكنة، أما تكوين الجمعية العضوي فأنها ضمت جميع العثمانيين من دون النظر الى الدين والجنسية، وشكلت الجمعية لجنة مركزية من اجل وضع القوانين، وكان مهام اللجنة المركزية هو وضع القوانين وطبعها وتعيين الافراد من اجل القيام بعمل تلك القوانين ومراقبة اعمال الموظفين، وان مركز الجمعية هو مدينة القاهرة وان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في اعمالها الى اللجنة المركزية الكبرى في القاهرة، ومن هذا يتضح ان هذه الجمعية هي اول جمعية سياسية تأسست بصورة علنية وهذا واضحاً من مقصد ومساعي الجمعية، وطبعت اللائحة الاساسية للجمعية باللغات الاساسية (العربية، التركية، الفرنسية والارمنية) ([20]).

ث- ان العرب العثمانيين كانوا يشعرون بالاستبداد الذي يقوم عليه الحكم في الامبراطورية العثمانية، وكانوا يعرفون مقدار التخلف الذي كانت تعاني منه الدولة

العثمانية، وكانوا يعون مقدار الفجوة العميقة بين التقدم في أوربا وتأخر الامبراطورية العثمانية، وان هذا الشعور والادراك دفعهم الى تكوين الجمعيات السياسية وعدم الاكتفاء بتأثير المصلحين العرب ودورهم والجمعيات العلمية ([21]).

أما البعد التنظيمي لجمعية الشورى العثمانية فأنه كان منظم في قانون الجمعية في فصولها الثاني والثالث والرابع والخامس، فقد حدد فيه شروط العضوية وواجبات الاعضاء وحقوقهم، والهيئات المسؤولة وطريقة ادارة شؤونها الداخلية كذلك ينظم الشؤون المالية، وكان من شروط الانضمام الى الجمعية هو ان يكون حسن السيرة والسلوك، عاقل بالغ، محب لوطنه، وكانت الجمعية تستخدم طريقة الارقام في كتابة اسماء اعضاء الجمعية اي ان كل عضو ينتمي الى الجمعية يستخدم بمكان اسمه رقم معين يستخدمه في تدوين اسمه والمخاطبات والكتابات ([22]).

تحولت هذه الجمعية الى تشكيل حزبي متكامل، يتكون من هيئات مركزية واخرى فرعية، وكانت لها مالية منظمة تنظيماً جيداً، أما مجلس ادارة الجمعية فكان يتكون من اثنا عشر عضواً، وسلطات محلية تتكون من مجالس ادارات الفروع، وكانت مدة كل هيئة سنتين كحد اعلى غير قابلة للتجديد ([23]).

وضع قانون يوزع السلطات بين الهيئة المركزية ومجالس ادارات الفروع، بحيث تتولى الهيئة المركزية ادارة اعمالها وجمع الاموال وتدبير شؤون الفروع وسن اللوائح والقوانين لمجالس ادارات الفروع والاشراف المباشر على ماليتها ([24]).

علم السلطان عبد الحميد بتأسيس هذه الجمعية وعرف بنشاطها عن طريق بعض جواسيسه في مصر، واطلق عليها اسم (الجمعية الافسادية) واخذ في مقاومتها، وعلى الرغم من موقف السلطان المعارض لها ومقاومته لها، الا ان هذه الجمعية استطاعت ان تصمد حتى قيام انقلاب عام 1908 ([25]).

وبعد قيام انقلاب عام 1908 واقرار الدستور حاول اعضاء جمعية الاتحاد والترقي من التقرب من اعضاء جمعية الشورى العثمانية، لكن مساعيهم باءت بالفشل، ولما فشلوا في استقطاب اعضاء جمعية الشورى العثمانية والسيطرة عليها لجأوا الى اسلوب التفتيت، وذلك لانهم استطاعوا ان يأثروا على حقي العظم ورفيق العظم فتركوا جمعية الشورى العثمانية ودخلوا في جمعية الاتحاد والترقي عند زيارتهما الة استنابول، وتفرق بقية الاعضاء

ولاقوا الاضطهاد في مصر فحلت جمعية الشورى العثمانية وحل محلها حزب الاتحاد والترقي الحاكم ([26]).

2- جمعية النهضة العربية:- تأسست في الثالث عشر من تموز عام 1907 وهي جمعية عربية سياسية سرية، اسسها عدد من طلاب حلقة دمشق الصغرى بعد سفرهم الى استنابول([27]).

تشكلت اول هيئة ادارية لهذه الجمعية من الاعضاء المؤسسين لها، وهم عارف الشهابي، محب الدين الخطيب، شكري الجندي، وعبد الكريم خليل، وكان مركز الجمعية في بداية الامر في استنابول حيث تواجد اعضاء الجمعية المؤسسين لها، ثم انتقل بعد ذلك الى دمشق التي اصبحت المركز العام للجمعية، وتأس فرع دمشق في السادس من اب عام 1907 وكان بأشراف لطفي الحفار وصلاح الدين القاسم([28]).

اهم مبادئ الجمعية هي تعريف الشباب العرب المثقفين بعروبتهم ودعوتهم الى التعاون من اجل اصلاح المجتمع العثماني وركزت على مسألة استخدام اللغة العربية، وتجاهل التطور الذي كان يحدث في أوربا من قبل الدولة العثمانية وعدم ركبها مجال التطور الذي كان حاصلاً في مجال التعليم والتنظيم والصناعة وغيرها من الامور([29]).

طرأت تطورات هامة على الجمعية بعد انقلاب عام 1908 واعلان الدستور، وذلك لما عقده الدستور من امال في حرية العمل التنظيمي، اذ شارك العرب الموجودين في استنابول افراح الاحتفال بالانقلاب الذي اعاد دستور عام 1908، وخرج اعضاء جمعية النهضة العربية للمشاركة في الاحتفال، ولم يكتفوا بذلك فقط بل توافد اعضاء الجمعية في اليوم التالي الى المقاهي والشوارع من اجل الاعلان عن انفسهم جمعية قومية عربية، وبذلك اصبحت جمعية النهضة العربية جمعية علنية([30]).

لمس الاتحاديون منذ اليوم الاول من اعلان الدستور مطاليب القوميات، وشهدوا على مدى التأييد الكبير الذي اكتسبوه بعد الانقلاب الدستوري، لذلك فكر الاتحاديون في كيفية المحافظة على هذه الشعبية وبنفس الوقت التنكر لتلك المطالب وكانت ذه اول المواجهات التي عانت منها حكومة الاتحاديين عندما ارادوا تطبيق برنامجهم في التتريك والمركزية، تجاه جميع الجمعيات لذلك عملت حكومة الاتحاد والترقي الى تنفيذ خطتها الهادفة الى تصفية الجمعيات التي كانت قائمة عند تولهم الحكم واعلان الدستور([31]).

حاول اعضاء الجمعية الصول على ترخيص من اجل العمل العلني بكل الوسائل لكن الاتحاديون بدأوا يماطلون دون الوصول الى نتيجة وكانت نتيجة هذه المماطلة تحويل الجمعية من جمعية عربية سياسية الى جمعية ثقافية، ورغم هذه المماطلة فقد اجتمع اعضاء الجمعية في دمشق في عام 1909 ووضعوا للجمعية قانون خاص صادق عليه جميع الاعضاء، وانتخبوا ادارة جديدة كانت برئاسة محب الدين الخطيب وعضوية زكي الخطيب، رشدي الحكيم، وجمال الحفار، وبعد عودة الرئيس والاعضاء الى الدراسة في استنابول انتخبت الجمعية هيئة ادارية جديدة برئاسة رضا مردم وحكمت المرادي (نائب الرئيس)، واختارت للمحاسبة رشدي الحكيم، ولأمانة الصندوق جمال الحفار ([32]).

عاد الاتحاديون الى الحكم مرة ثانية بعد فشل الثورة المضادة عام 1909، وكان اول الخطوات هي انهم يكونوا اكثر قوة وتصلباً تجاه ابناء القوميات الاخرى، لذلك تقدم النواب الاتحاديون بطرح المادة الرابعة من نظام الاجتماعات في مجلس المبعوثان وهذه المادة تنص على "يمنع قيام الجمعيات ذات الاهداف السياسية والقومية في الامبراطورية العثمانية" وطلب النواب مناقشة هذه المادة في الجلسة المنعقدة في السابع من تموز عام 1909، وفازت هذه المادة عندما عرضت على الاقتراع بنسبة 69- 95 صوتاً بالرغم من معارضة اعضاء القوميات غير التركية لها([33]).

اخذ الاتحاديون في ملاحقة اعضاء الجمعية، فهاجر رئيس الجمعية محب الدين الخطيب الى مصر وتقلصت الجمعية في استنابول الا انها توسعت في دمشق وعقدت العديد من الاجتماعات لغرض تغيير اسمها الى اسم (جمعية النهضة السورية) بناءاً على طلب من حكومة حزب الاتحاد والترقي، وبعد المداولة قررت اللجنة رفض هذا الاسم والابقاء على اسم جمعية النهضة فقط لان اسم الجمعية السورية لا يعم الاعضاء من غير سورية ولا يشمل الفروع في الاقطار العربية ([34]).

اخذ الاتحاديون كعادتهم في مماطلة اعضاء الجمعية من اجل الحصول على رخصة العمل العلني حتى عدلت الجمعية قانونها المقترح ونقحته وجعلته ينطبق على قانون الجمعيات الحديث، وهذا القانون قدم لحكومة الاتحاديين من اجل الحصول على الترخيص القانوني للجمعية، ثم تحليل هذا القانون قبل ان يتخذ الصيغة النهائية التي اجازته الحكومة بتصريح مؤرخ في الحادي عشر من تشرين الاول عام 1909([35]).

يوجز قانون الجمعية الجديد مبادئها بصورة محددة في المادة الثانية منه، وهي المادة التي تنص علة ان لجمعية هي علمية، وهذا يوضح مقدار ما فرضته الحكومة على الجمعية من الابتعاد عن السياسة، لذلك راعت الجمعية عزم الحكومة على حرمانها من اي نشاط سياسي، وصاغت نظامها الاساسي على هذا الاساس ولكنهم اتبعوا بعض النشاط السياسي غير المباشر، لكن الحكومة قامت بالتعديل على القانون وعلى الصياغة وبذلك اقفلت اقفالاً محكماً وقاسياً على اوجه النشاط السياسي غير المباشر اذ نصت المادة الثانية من قانون الجمعية على:- ([36]).

1- نشر اللغة العربية وادابها.
2- اقامة اوضاع علمية وخيرية.
3- تنشيط كل ما يمكن من خلاله عمران الوطن.
4- التعاون بين الاعضاء في المسائل الادبية والمادية([37]).
5- مساعدة العضة المنتمي الى الجمعية واسرته اذ ما دعت الحاجة الى ذلك.

أقر الاتحاديون دستور الجمعية بصيغته الجديدة عام 1910 وبذلك اصبحت الجمعية معترف بها من قبل حكومة الاتحاديون بعد سنتين من المماطلة والتسويف، وقد بقيت الجمعية قائمة حتى نشوب الحرب العالمية الاولى (1914- 1918)، ويعود سبب بقاءها طيلة تلك المدة الخط الثقافي ذات المضمون السياسي الذي اتبعته الجمعية، فكانت عبارة عن حلقة ثقافية في دمشق، اذ اخذت على عاتقها تعليم التجار وابناء الشعب اللغة العربية ممن لم يعرفوها، كما عملت على تمثيل عدد من الروايات الوطنية([38]).

تناول البرنامج الثقافي للجمعية الابحاث العربية، وان عناوين المحاضرات كانت تدل على اتجاه الجمعية القومي رغم الضغط الشديد لتحويلها الى جمعية علمية فقد كانت المحاضرات تحمل عناوين (الخطران الاصفران) و(المسألة العربية ونشأتها) و(القومية في الامم) وغيرها من عناوين المحاضرات ذات المغزى السياسي([39]).

انتهت جمعية النهضة مع بداية الحرب العالمية الاولى الا انها امدت الحركة الوطنية السورية برجال كان لهم الاثر الفعال في التشكيلات الحزبية التي ظهرت في النصف الاول من القرن العشرين، ومن اهم هذه الاحزاب حزب الكتلة الوطنية، كذلك امدت الحركة السياسية بعدد من الرجال لذين كان لهم الاثر في تاريخ الدولة السورية السياسي مثل لطفي الحفار، عبد الرحمن الشهبندر، فارس الخوري، وزكي الخطيب وغيرهم([40]).

الخاتمة:

1- أن انفتاح العالم العربي بصورة عامة على بلدان العالم الاوربي والاطلاع على ثقافتهم، كان بمثابة صحوة للعرب، أذ نبههم الى واقعهم الذي يعيشون به مما دفعهم الى محاولة تغيير ذلك الواقع.

2- فكر المثقفين العرب الذين درسوا في الخارج ان طبيعة التغيير تكمن في نقل علوم ومبادئ وثقافة الشعوب الاوربية واطلاع عامة العرب على هذه الثقافة، مما ولد لديهم فكرة انشاء الجمعيات والمنتديات الادبية والثقافية.

3- ان موافقة الولاة العثمانيين على فكرة انشاء الجمعيات العلمية والثقافية كان من باب الاصلاح لأن الدولة العثمانية ايضاً كانت تحتاج لمثل هذه الافكار خصوصاً في فترات حكمها الاخيرة لأنها كانت بحاجة الى الاصلاح ورأت في انشاء الجمعيات ما يساعدها على فكرة الاصلاح هذه، لكنها في الوقت نفسه فتحت عليها باب اخر هو عدم قبولهم في البلدان العربية التي كانت مسيطرة عليها، وهناك بعض الولاة العثمانيين فقدوا مناصبهم بسبب هذا الشيء.

4- ان طبيعة الشخصية العربية الثائرة التي ترفض السيطرة والظلم والاستبداد والاستعباد، ادت بهم الى تحويل هذه الجمعيات الى جمعيات سياسية تقف بوجه السلطة الحاكمة وبوجه العثمانيين وتطالب بتغيير نظام الحكم وانهاء حكم وسيطرة الدولة العثمانية.

5- كل الجمعيات سواء كانت علمية او سياسية كانت لها صحيفة ومجلة خاصة تصدر للجمعية تطبع فيها اهداف ومطاليب الجمعية وبعض الخطب التي كانت تنشر للأعضاء فيها وهذا ان دل على شيء فأنه يدل على طبيعة الشخصية العربية المثقفة خلال تلك الحقبة.

6- طبيعة حكم واستبداد وسيطرة الدولة العثمانية على بلاد الشام دفعت هؤلاء المثقفين الى انشاء الجمعيات السياسية التي كانت تطالب بالتخلص من السيطرة العثمانية، خصوصاً ان الدولة العثمانية كانت تريد تطبيق سياسية التتريك ومحاولة طمس الهوية العربية في كل مكان، حتى الكتب التي كانت تعلم في المدارس كانت باللغة التركية بالأضافة الى التداول في الدوائر الرسمية كان سيتم باللغة التركية ايضاً، وهذا ما جعل العرب في بلاد الشام يثورون ضد هذا الشيء ويعتزون بلغتهم العربية اللغة الام.

7- ان قيام الحرب العالمية الاولى (1914- 1918) ادى الى نهاية عمل الجمعيات بسبب احداق الحرب وانشغال العرب بها ودخولهم الحرب الى جانب الدولة العثمانية، لكن هذا لا يمنع ان هذه الجمعيات ساهمت بشكل او بأخر في زج رجالات وطنيين ساهموا في صنع القرار السياسي في بلاد الشام، وتبوأوا مناصب سياسية مرموقة في الدولة.

الهوامش:

---

1) مدحت باشا، مذكرات مدحت باشا، تعريب: يوسف كمال حتاته، الاسكندرية، (د.ت.)، ص37.
2) احمد أمين، زعماء الأصلاح، القاهرة، 1952، ص55.
3) مصطفى الشهابي، محاضرات في القومية العربية، (د.م.)، (د.ت.)، ص49.
4)المصدر نفسه، ص50.
5) المصدر نفسه.
6) عبد العزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سورية 1848- 1914، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص240.
7) مصطفى الشهابي، المصدر السابق، ص51.
8) محمد الفرحاني، فارس الخوري وايام لا تنسى، بيروت، 1965، ص236.
9) احمد عزت عبد الكريم، بحوث في التاريخ الحديث، جامعة عين شمس، 1976، ص110.
10) توفيق علي برو، العرب والترك في الدستور العثماني (1908- 1919)، دمشق، 1991، ص24.
11) مصطفى الشهابي، المصدر السابق، ص40.
12) رشيد رضا، رفيق العظم واثاره، ط2، بيروت، 1925، ص33.
13) المصدر نفسه، ص35.
14) "المنار" (جريدة)، م9، ج12، 13 شباط 1909، ص915
15) المصدر نفسه.
16) المصدر نفسه، ص950.
17) المصدر نفسه، ص952.
18) رشيد رضا، المصدر السابق، ص45.
19) المصدر نفسه، ص47.
20) مصطفى الشهابي، المصدر السابق، ص55.
21) "الاهرام" (جريدة)، 1909/3/8.
22) "المؤيد" (جريدة)، 1909/8/2.
23) محمد الفرحاني، المصدر السابق، ص237.

24) "المنار" (جريدة)، ج1، السنة الثانية عشر، ص13.
25) البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، 1968، ص63.
26) المصدر نفسه، ص65.
27) مارون عبود، رواد النهضة العربية، دار العلم، بيروت، 1952، ص35.
28) المصدر نفسه، ص37.
29) محمد بوذينة، احداث العالم في القرن العشرين 1900- 1909، ج1، بيروت، (د.ت.)، ص100.
30) محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، بيروت، 1971، ص111.
31) محمد بوذينة، المصدر السابق، ص110.
32) يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني، بيروت، 1980، ص26.
33) أرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908، ترجمة: صالح احمد العلي، بيروت، 1960، ص67.
34) المصدر نفسه، ص69.
35) يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص30.
36) محمد عزة دروزة، المصدر السابق، ص120.
37) ارنست أ. رامزور، المصدر السابق، ص70.
38) يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص32.
39) مارون عبود، المصدر السابق، ص37.
40) البرت حوراني، المصدر السابق، ص67.

المصادر والمراجع باللغة العربية:-

اولاً: الصحف العربية:

1) "الاهرام" (جريدة)، 1909/3/8.
2) "المنار" (جريدة)، م9، ج12، 13 شباط 1909، ص915
3) "المؤيد" (جريدة)، 1909/8/2.
4)"المنار" (جريدة)، ج1، السنة الثانية عشر

ثانياً: الكتب العربية والمعربة:

40) احمد أمين، زعماء الأصلاح، القاهرة، 1952.
2) احمد عزت عبد الكريم، بحوث في التاريخ الحديث، جامعة عين شمس، 1976.
3) أرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908، ترجمة: صالح احمد العلي، بيروت، 1960.
4) البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، 1968.

5) توفيق علي برو، العرب والترك في الدستور العثماني (1908- 1919)، دمشق، 1991.
6) رشيد رضا، رفيق العظم واثاره، ط2، بيروت، 1925.
7) عبد العزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سورية 1848- 1914، دار المعارف، القاهرة، 1969.
8) مارون عبود، رواد النهضة العربية، دار العلم، بيروت، 1952.
9) محمد الفرحاني، فارس الخوري وايام لا تنسى، بيروت، 1965.
10) محمد بوذينة، احداث العالم في القرن العشرين 1900- 1909، ج1، بيروت، (د.ت.).
11) محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، بيروت، 1971.
12) مدحت باشا، مذكرات مدحت باشا، تعريب: يوسف كمال حتاته، الاسكندرية، (د.ت.).
13) مصطفى الشهابي، محاضرات في القومية العربية، (د.م.)، (د.ت.).
14) يوسف الحكيم، سوريا والعهد العثماني، بيروت، 1980.

المصادر والمراجع باللغة الانكليزية:

First: Arab newspapers:

1- Al-Ahram" (newspaper), 3/8/1909.
2- Al-Manar" (newspaper), Part 9, Part 12, February 13, 1909, p. 915
3- Al-Muayyad" (newspaper), 8/2/1909.
4- Al-Manar" (newspaper), vol. 1, twelfth year

Second: Arabic and Arabized books:

1-Ahmed Amin, Leaders of Reform, Cairo, 1952.
2- Ahmed Ezzat Abdel Karim, Research in Modern History, Ain Shams University, 1976.
3- Ernest A. Ramzor, The Young Turks and the Revolution of 1908, translated by: Saleh Ahmed Al-Ali, Beirut, 1960.
4- Albert Hourani, Arab Thought in the Renaissance 1798-1939, translated by: Karim Azqul, Dar Al-Nahar Publishing, Beirut, 1968.
5- Tawfiq Ali Berro, Arabs and Turks in the Ottoman Constitution (1908-1919), Damascus, 1991.
6- Rashid Reda, Rafiq al-Azm and his Antiquities, 2nd edition, Beirut, 1925.
7- Abdul Aziz Muhammad Awad, The Ottoman Administration in the State of Syria 1848-1914, Dar Al-Maaref, Cairo, 1969.
8- Maroun Abboud, Pioneers of the Arab Renaissance, Dar Al-Ilm, Beirut, 1952.
9- Muhammad Al-Farhani, Fares Al-Khoury and Unforgettable Days, Beirut, 1965.

10- Muhammad Boudhaina, World Events in the Twentieth Century 1900-1909, Part 1, Beirut, (ed.).

11- Muhammad Azza Darwaza, The Origins of the Modern Arab Movement, Beirut, 1971.

12- Medhat Pasha, Memoirs of Medhat Pasha, Arabization: Youssef Kamal Hatata, Alexandria, (ed.),.

13- Mustafa Al-Shehabi, Lectures on Arab Nationalism, (D.M.), (D.T.),

14- Yusuf al-Hakim, Syria and the Ottoman Era, Beirut, 1980.

Scientific and political societies in the Levant (1850-1908) historical study

Assist lect. Wedad Abdul Zahraa Katea

Faculty of Arts - Mustrairiyah University

wedad993@uomustansiriyah.edu.iq

Keywords: the modern history. Scientific societies. The Ottomans

Summary:

The control of the Ottoman Empire over many countries of the Arab world and the nature of the relationship of the Ottoman Empire with some European countries helped open up the Arab countries to the outside world and communicate with it, through the nature of the educated Arab person, because the Arabs loved knowledge and learning, and this is what prompted them to immigrate to those countries. Countries in order to transfer their knowledge to their Arab countries. This gave them the idea of establishing literary, cultural and scientific associations and clubs, which later turned into political ones and stood against the government and the Ottoman Empire